جدتي «محت» أمّيتها

شيخة الشحية

مرت ستة وعشرون عامًا أدركت بها أن جدتي لا تجيد القراءة ولا الكتابة، أستغرب حفظها لما تيسر من القرآن الكريم، كنت أسألها كيف تحفظين الآيات وأنت لا تجيدين القراءة؟

أجابتني: «ليتنا تعلمنا مثلكم، لكنت حفظت أكثر وأكثر». كانت تحفظ الآيات لمجرد سماعها لها.

افتتح فصلًا في مدرسة المنهاج، التحق بها عدد من كبار السن رغبة في محو أميّتهم، جدتي تمنت لو أنها كانت تقرأ وتكتب، فلم تفوّت الفرصة عندما اقترحت عليها جارتها فكرة الذهاب للمدرسة، كان الحماس واضحًا، كلنا أحببنا الفكرة وبدأت الأيام الدراسية.

خلال عام دراسي واحد فقط تعلمت فيه جدتي كيف تقرأ وتكتب، تقول: «تعلمت أكتب اسمي واسم عبدالله «جدي»، وأسماء أبنائي وأخواتي واخوتي.. وأسماء أولادهم»، درست الصف الأول والثاني الابتدائيين في عام واحد، ضم الفصل عددًا كبيرًا وكان اليوم الدراسي الأول حافلاً بزيارات مديري المدارس لتشجيعهن والسماع لرغباتهن من التعليم.

عدة مرات صادفتها وهي ذاهبة مع رفيقاتها تحمل في يدها حقيبة مدرسة صغيرة، كانت في سنتها الأولى حيث تدرس أول صفّين معا، تغمرهن فرحة كأنه عرس، رأيت في أعينهن النعيم الذي نعيشه نحن المتعلمون أو نحن الذين نقرأ ونكتب.. في خطواتهن اتزان رغم انحناء ظهورهن.

يدركن أهمية التعليم ولكن قد تكون الظروف الماضية ما

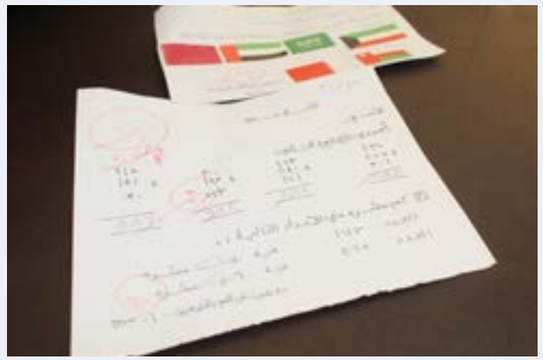

منعهن عنه، زواجهن المبكر، العيب في أن تخرج الفتاة من بيت والدها إلا لبيت زوجها، ومن حالفها الحظ في ذلك الوقت قلة قليلة ثابرت فوصلت، كانت لا تتخيل أن يأتي اليوم وهي تعيش خلف جدران الأمية فحاكت خيوط الأوراق قبل فوات الأوان.

جدتي ورفيقاتها أدركن اليوم أهمية أن يقرأن، لتقرأ القرآن الكريم كما تقول دائما، عندما تعود من المدرسة بعد أن أمضت ثلاث ساعات تقريبا، تكون في حالة شوق لتنجز واجباتها المدرسية ولتروي ما حصل لهن مع المعلمة الطيبة كما تصفها، ولتتحدث عن المواقف التي جرت لها عندما حاولت أن تقرأ وصفقت لها رفيقاتها لأنها عبَرت بصعوبة تلك الحروف.

جدتي اليوم وبعد عشر سنوات لا تجيد القراءة كثيرًا، توقفت عن الذهاب للمدرسة بسبب وفاة جدي (رحمه الله)، كانت ترى المدرسة ملجأها الحنون أحبتها كثيرا في سن متأخرة، ولكن وفاة جدي حالت بينها وبين تعليمها فحزنت على فراقهما معاً.